على طريق الأصالة :
(٣٧)

مسئوليتنا تجاه الغرب

أنور الجندى

بسم الله الرحمن الرحيم

مسئوليتنا تجاه الغرب

فى تبليغ إسلام القرآن والسنة

يوماً بعد يوم تزداد مسئولية الفكر الإسلامى إزاء الغرب فى تبليغ الاسلام الصحيح ، إسلام القرآن والسنة ، وقد اقتحم الاسلام وجدان الغرب واستطاع أن يقنع عدداً كبيراً من المثقفين ذوى الدرجة العالية من الفهم وما يزال هناك عدد كبير يترقب وينتظر ومن ثم نشأت قضية كبرى هى شرح الاسلام للغرب ، وهى مسألة تختلف عن قضية الحوار وإن كان الحوار قد أريد به إفساد وجهة الطامحين إلى الدخول فى الاسلام بمقولات ترمى إلى إقناعهم بأنه لاخلاف بين الأديان وخداعهم بتصريحات نسبت لبعض الأسماء اللامعة لإبقائهم على دينهم ، والواقع أن قضية شرح الاسلام للغرب مسألة ضرورية جداً وفى حاجة إلى أن تحملها أقلام وألسنة نابهة عارفة بمخططات الغزو الفكرى ، وواعية بالمؤامرة التى تحاك لإفساد صورة الاسلام فى نفوس الغربيين الذين أصبحوا يتطلعون إليه على أنه منقذ للبشرية وأول هذه الواجبات أن تكون مصادر التوجيه والتعريف قائمة على مفهوم التوحيد الخالص بعيداً عن مختلف النزعات

والمذاهب والفرق سواء ما يتصل منها بالعقيدة أو بالتربية أو بمفاهيم الفكر السياسي الاسلامي وأن يكون المفهوم الأصيل الذى يقوم على ما أقره النبي ﷺ وصحابته في شأن ولاية الحكم والشورى واضحاً محرراً ، وأن يكون مفهوم الاسلام الجامع (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) مقرراً .

ذلك أن المسلمين الجدد في الغرب في حاجة شديدة إلى حمايتهم من التيارات الوافدة التي ترمى إلى أن تحتويهم في ظل فرقة ما من الفرق الكثيرة سواء أكانت فرقاً صوفية أو باطنية أو داعية إلى بهائية أو قاديانية .

وأن يقدم الاسلام صافياً نقياً في ثوبه البسيط السمح ، البعيد عن العقيدات المتكلمة أو المعتزلة أو التصوف الفلسفي ، وأن يوضح الأخطاء التي تحويها كتب الغرب القديمة .

وهناك من المحاذير الكثير في مقدمتها دائرة المعارف الاسلامية التي كتبها عصبة الاستشراق والتي تصور الاسلام في كثير من عقائده وفقهه وتاريخه بصورة التابع أو الناقل من الأديان السابقة ولقد صدرت تحفظات كثيرة على سموم دوائر المعارف باللغة العربية وغيرها ولكنها في الأغلب لم تصل المسلمين في الغرب حتى يلموا بها ويكتشفوا الحقيقة .

وقد تبين أنه يوجد فى الغرب (٦٠ ألف كتاب) عن الاسلام مكتوبه من وجهة نظر التبشير والاستشراق المعادى للإسلام ، وقد كتبت خلال المائه وخمسين عاما الماضية وهى فى الغالب مصدر معلومات كثير من المسلمين فى الغرب ، وهذه جميعاً يجب أن تكون موضع حذر شديد ، وأن يكون معروفا لدى المسلمين الجدد أنها كتبت فى ظروف الحرب المعلنه على الاسلام فى الغرب والتى لاتزال معلنة .

وهى مهما كان تأثيرها فى الماضى فإن حقيقة هامة وأساسية قد ظهرت اليوم ، هى تطلع مثقفى الغرب إلى الاسلام كمنقذ للنفس الانسانية أولا وللمجتمعات البشرية .

ويشير إلى هذا المعنى كثير من الكتب التى يصدرها المعلقون المنصفون الآن فى الغرب ، وفى كتاب عنوانه (من دين لآخر) إعتناق الاسلام فى الغرب) الذى ظهر بالفرنسية ليزبات روثى وفاطمة الشرقاوى تبين ما يلى :

ما برح الاسلام يلاقى صدى طيباً فى نفوس الغربيين فيدخلون فيه عن طواعيه بعدما أفلست كل النظريات فى إسعادهم ولم تعد أديانهم قادرة على اطفاء ظمأهم الروحى ، ففى فرنسا (٣٠٠ ألف فرنسى) اعتنقوا الاسلام إضافة إلى مليونى مسلم من أصل مغربى ، وقد أصبح

الإسلام ثانى الأديان فى فرنسا بعد الكاثوليكية وقبل البروتستنتية ، أما فى أمريكا فيوجد الآن ثلاثة ملايين مسلم ، وقد أصبحت هذه الأعداد مثيرة لمخاوف الكنيسة حيث يجرى وصف المسلمين بأنهم طابور خامس للإرهاب دون أن يقدم من يطلق هذه المقولات برهانا عملياً على صحتها ومايزال الإسلام هو الدين الوحيد بين الأديان الذى يسجل تقدما على مدى الساحة العالمية كلها وأن الجانب الآخر اليوم يفقد القداسة ويركز على الطلاسم التى لا فك لرموزها ، ويأوى الشاذين جنسياً ويأخذ بالسحر والأساطير والخوارق بينما يقوم الإسلام على فكرة الألوهية الواضحة والجمع بين مصالح الدنيا والآخرة والنظر العقلى الصحيح .

لقد جاء الإسلام ليصحح كثيراً من المفاهيم وأهمها الصلة المباشرة بين الله تبارك وتعالى وبين الإنسان بدون وسيط والارتفاع على التجسيد والتجسيم ورفض فلسفات الفيض والحلول والعقول العشرة التى نشأت عنها فكرة التثليث والخطيئة والصلب وفق مفهوم خاطىء تبرأ منه المسيحية المنزلة .

كما كشف الاسلام فساد المواريث القديمة للباطنية والمجوسية وعبادة الفرعون والقيصر وجدد تراث النبوة وكشف زيف تراث طفولة البشرية ورفض الاسلام نزعة اليأس والتشاؤم التى يذيعها الأدب الغربى نتيجة فكرة الخطيئة التى أعان الاسلام مسئولية كل

الإنسان عن عمله، وأن آدم عليه السلام تاب الله عليه وغفر له ولم يحمل أحداً خطيئة أحد .

ولقد تطلع كبار مثقفي الغرب ومفكريه إلى الثقة التامة بقدرة الإسلام على حل مشاكل البشرية ومشاكل العالم المعاصر ومشاكل الإنسان المعاصر وأبرز ما يتطلع إليه الغرب سكينة النفس وطمأنينة القلب والتخلص من أزمات الفكر التي تؤدي بصاحبها إلى القنوط وهي التي يحلها الإيمان بالله تبارك وتعالى خالقاً ورازقاً (إياك نعبد وإياك نستعين) .

وإن أعظم ما جذبهم إلى الإسلام هو روح العدل والمساواة التي يدعو إليها القرآن الكريم والنظافة التي يتحدث عنها الرسول (الطهارة) نظافة اليد والقلب واللسان ومنهم من سافر إلى جبال الهملايا وجلس مع الكهنة البوذيين فوق قمم الجبال ولم يجد عندهم ما يشفي الغليل وعندما يقر الغربي عن تواضع النبي محمد وكرم خلقه وسماحته مع أعدائه ، ورحمته وتطامنه إلى أن يخاف هؤلاء المتعنتين من يؤمن بالله ، هذه المعاني تهز نفس الأوروبي هزاً شديداً لأنه لايجدها في واقع الحياة المعاصرة فهو يرى عالماً غربياً يستعلي على الأحقاد والخصومات والمادة ويتطلع إلى أنوار السماء .

يرى الباحثون في الغرب أن العقل الأوروبي لا يرفض الإسلام

إذا عرف حقيقته لأنه عقل حر إذا أتيحت له فرصة النظر دون أن تكرهه سموم الإستشراق على التعصب لفكره القديم ، والتوحيد الإسلامى أقرب إلى النفس البشرية من التعدد والتثليث ولفائف الوثنيات والمادية .

ولكن هناك قوى تحول بين أهل الغرب وبين تقبل الإسلام ، منها بعض متعصبى اللاهوت والصهيونية والماسونية والماركسيين الذين يخوفون الغربيين من الإسلام ، ويصوورون لهم واقع المسلمين اليوم الذى لا علاقة له بالإسلام أو طريقة الدعوة إليه من أناس يتعصبون لمذهبيات بعيدة عن جوهر الدين الحق .

ولقد اقتنعت المرأة المسلمة فى الغرب برسالة الإسلام للأمومة ومهمة المرأة ولباسها وزيها وقبلت به بالرغم من أجواء الغرب القاسية وتأكد لهم أن الإسلام لايحتقر الأنوثة ولاينزل بالمرأة إلى الدرك الأسفل - كما يدعون - بل هو يكرمها فى إعطائها مكانها الطبيعى ويرفعها فوق أهواء الفاسدين وقد كشف أليكس كاريل وغيره طبيعة تركيب المرأة البيلوجى الفارق تماماً مع تكوين الرجل اختلافا لمهمة كل منهم .

• • •

ولقد كانت إستجابة الغرب للإسلام فى محيط المثقفين الغربيين أوسع مما يظن الكثيرون لأنها تخطت ذلك إلى رجال اللاهوت أنفسهم

فقد كتب سبعة من الرهبان كتاباً يقررون فيه بشرية المسيح التي أعلنها القرآن منذ أربعة عشر قرناً وقد أحدث هذا الكتاب هزة كبيرة وتوالت النذر بتقبل مفاهيم الإسلام خارج دائرة الإيمان به حيث لم يجد الغربيون بدأ من أن يتقبلوا كثيراً من مفاهيم الإسلام تحت أسماء أخرى لإصلاح مجتمعهم .

أولا : أباحوا الطلاق بعد أن عارضوه معارضة شديدة وكان الإسلام قد أباح الطلاق منذ أربع عشر قرن إذا ثبت فشل الحياة الزوجية وقاومه المتعصبون والمستشرقون واتهموا الإسلام بأنه يبيح للرجل أن يتلاعب بامرأته على طريق إعطائه الحق فى أن يطلق زوجته متى شاء ، وتمر مئات السنين فإذا أشد الدول الغربية تعلقا بالكاثوليكية وهى إيطاليا وكذلك أسبانيا تبيح الطلاق الذى أباحه الاسلام وتثبت أن القرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ونرى مجلس اللوردات البريطانى الانجليزى يقرر الطلاق لحق العلاقات المضطربة فى المحاكم البريطانية .

ثانياً : محاربة الخمور ، وقد قاوم الاسلام هذه الرغبة وقرر تحريم الخمر رحمة بالانسان وليس تضييقاً عليه فلما ثبت اليوم أن أكثر من ٥٠ فى المائة من حوادث الطرق جاءت نتيجة الخمور أو عوامل أخرى فى إنهيار المجتمعات بدأ الغرب فى محاربة الخمور .

وقالت أبحاث الأطباء أن إدمان الخمور له تأثير تدميرى شامل وخاصة على الكبد وتشكو الدول الأوروبية من الخمور وأضرارها وقد تضاعف عدد مدمنى الخمور فى السنوات الأخيرة وبالجملة فإن ظاهرة توسع الاسلام فى الغرب هى ظاهرة ثابتة مستقرة ومستمرة بالرغم من كل محاولات إيقافها أو تدميرها .

أولا : الذين يدخلون الاسلام من الغرب ليسوا من عامة الناس ولكنهم من خاصتهم فهم على قدر كبير من الثقافة فهم مفكرون وعلماء وفلاسفة وأطباء وقسس ورهبان .

ثانياً : إن الحرب ضد الاسلام لم تهدأ منذ نزلت أول آية من القرآن .

ثالثاً : إن المسلمين الذين يزيد عددهم عن ألف مليون مسلم لايخرج أحد منهم من الاسلام إلى غيره من الأديان إيماناً بأن الاسلام مسيحية وزيادة كما عبر عن ذلك الشيخ محمد عبده .

ثانياً : (لماذا يقبل المثقفون الغربيون على الإسلام)

إن ظاهرة توسع انتشار الإسلام فى العالم اليوم ، وفى نهاية العقد الأول من القرن الخامس عشر تثير كثيراً من الملاحظات الجديرة بالنظر والتقدير ، فهذه ظاهرة جديدة تقتحم التاريخ السياسى للإسلام

المعاصر فى نفس الوقت الذى يواجه فيه متاعبه وتراجعاته وأزماته فى قلب الأمة الإسلامية من حيث ذلك الصراع القائم بين الغزو الفكرى وبين المقاومة التى تعمل على التحصن بقدرتها الذاتية التى كانت دائماً سنادها وحمايتها من الانصهار أو الاحتواء .

وبينما يواجه المسلمون فى عديد من المواقع مواقف صعبة سواء من ناحية سطوة القوى الأخرى ، أو من ناحية السيطرة الاقتصادية الغربية ، أو من ناحية تكتل القوى المعادية للإسلام فى حملات ضارية بينما يحدث ذلك نجد طاقات جديدة من نور الصحوة الإسلامية تضيء طريق الأمة وتملأ النفوس بالثقة فى نصر الله تبارك وتعالى وتأييده ، بما توحى من اليقين بأن هذا الدين لن يهزم مهما غشيته الغواشى أوعدت عليه العوادى وهذه بعض الظواهر :

أولا : ذكرت مجلة (الاكتوالتية رولنجور) أكبر مجلة كاثوليكية تصدر فى فرنسا أن حوالى ٥٠ ألفاً من مختلف الأوساط الاجتماعية قد اعتنقوا الاسلام خلال السنوات القليلة الماضية وينتمى هؤلاء الأشخاص إلى كافة الأوساط فنهم مفكرون أمثال الفيلسوف روجيه جارودى وميشيل سودكوتير علم الدراسات الصوفية وفنانون أيضاً وموظفون وعمال .

وإن هؤلاء اجتذبهم الاسلام ببساطته ولأنه دين حى يقسم بالقناعة والزهد وبما يتصف به من إمكانية التوجه إلى الله دون وسيط .

ثانيـاً : وفى أفغانستان نجد تلك الصورة الرائعة من التضحية والجهاد والاستشهاد حيث قدم المسلمون مليون شهيد بمثابة عربون للجلاء عن أفغانستان وكانت محاولات السيطرة الشيوعية بدأت منذ ١٩٥٩ حيث صدر منشور ملكى رسمى بالسماح للنساء بالسفور بعد أن كانت كل النساء الأفغانيات محجبات وبدأ التحول نحو التغريب واللادينية وبدأ التضييق على العلماء الذين حملوا راية الاصلاح الدينى على عاتقهم وكان طبيعياً أن يتضاعف نشاط العلماء والدعاة ضد الشيوعيين الذين أخذوا فى إفساد عقول الناس وإبعادهم عن الشريعة الاسلامية بكل السبل حتى وصل الأمر إلى التنكيل بالعلماء والدعاة الذين سافروا إلى الجبال وزاد الموقف خطورة نتيجة الانقلاب وسيطرة الروس وكان لا بد من وقفة إيمان لرد هذا الخطر .

ثالثاً : دخل الاسلام كوريا مع القوة التركية الصغيرة التى جاءت ضمن قوات الأمم المتحدة أثناء الحرب الكورية (٥٠ - ٥٢) وخلال ثلاثين عاما ارتفع عدد المسلمين من الكوريين من ٣٠ شخصاً إلى ٣٠ ألف وسرعان ما استطاع الاسلام أن يستوعب الشباب المتعطش إلى الايمان والذى وصل إلى حافة اليأس مع محاولات البوذية والكنفشوسيه ، حيث لم يجد اليقين ، وحيث تقوم الكنيسة بفتح المدارس التبشيرية لنشر العلمانية والرقص .

رابعـاً : وفى تركيا نجد أن أبرز مظاهر الصحوة الاسلامية هى

عودة المرأة المسلمة إلى أصالتها وفطرتها بالاقبال على الحجاب عن إيمان واقتناع بعد أن غرر بها دعاة التغريب وأعداء الاسلام بدعوى التحرر والمساواة. وحملت العودة إلى الحجاب مفهوم أنه رمز الأصالة والتدين وعندما اتخذ مجلس التعليم العالى فى تركيا قراراً بتحريم اللباس الشرعى والحجاب للطالبات فى الجامعات حكمت المحكمة العليا بأن الزى الاسلامى زى غير عصرى وأنه ينهض دلالة على الرفض الصارخ للعلمانية ولم يكن أحد يتصور أن تركيا بعد أن قطعت علاقتها بالاسلام فى عصر أتاتورك وتحولت بدرجة ١٨٠ عن الاسلام وتراثه بل وحتى حروف اللغة العربية والملبس والحجاب يمكن أن تعود تدريجياً إلى الاسلام .

وبدأ القلق من حجم الظاهرة ، وبدأت عودة مظاهر الدين إلى تركيا .

خامساً : وفى أسبانيا اتسع نطاق ظاهرة العودة إلى الاسلام فى أرضه التى أقام فيها ثمانية قرون ، وقد أقيمت المساجد فى قرطبة وعدد من العواصم الأندلسية القديمة .

فإذا ذهبنا نحلل هذه الظواهر وجدنا عناصر ثلاث :

(١) عودة الاسلام إلى الغرب سالماً بعد أن طرد منها من الأندلس والبلقان .

(٢) تصحيح مسيرة الإسلام فى أقطار إسلامية انحرفت على النحو الذى حدث فى تركيا وفى تونس حيث بدأت المسيرة الإسلامية تأخذ طريقاً جديداً .

(٣) القدرة الفائقة عن طريق فريضة الجهاد الإسلامى على استرداد الأرض ومقاومة الغاصب كما حدث فى أفغانستان اليوم وما حدث فى الجزائر من قبل مما يوحى بقدرة الإسلام على نصر المؤمنين به إذا باعوا أنفسهم خالصة لربهم .

(٤) لا يمنع هذا من وجود سلبيات كثيرة وما تزال مناطق كثيرة يقاسى فيها المسلمون الاضطهاد : سواء فى أفريقيا أم جنوب شرق آسيا وخاصة فى أريتريا والفيلبين .

وأسوأ ما فى ذلك هو استغلال بعض القوى أزمة الجفاف للعمل

على تنصير المسلمين ومنع توزيع الإعانات على مجتمعاتهم وقصرها على المجتمعات النصرانية وخاصة فى أثيوبيا وشرق إفريقيا .

* * *

وتبقى ظاهرة التوسع الإسلامى فى الغرب من القضايا الكبرى التى تحتاج إلى دراسة واسعة حيث يواجه الغرب هذه القضية بأسلوب غاية فى المكر والتآمر ، فالغرب يرى أن الخطر الحقيقى الذى يهدد الحضارة الغربية هو زحف الإسلام على مجتمعات الغرب ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب رئيسية :

الأولى : إن الذين يدخلون الإسلام فى الغرب ليسوا من عامة الناس ولكنهم من خاصيتهم ، فهم على حظ كبير من الثقافة ، ومنهم مفكرون وعلماء وفلاسفة وقسس ورهبان كانوا يدعون لدين آخر وقد دخلوا الإسلام لما رأوا فيه من الوضوح والبساطة والالتقاء بالفطرة .

الثانى : لأن المسلمين الذين يبلغ عددهم ألف مليون مسلم لا يخرج

واحد منهم من الإسلام بعد أن دخل فيه إلى دين آخر .

الثالث : لم تهدأ الحرب ضد الإسلام منذ نزلت أولى آياته ، وقد هزم الرومان والفرس ، ثم احتوى التتار وهزم الصليبيين بعد مائتى سنة .

الرابع : لم تخرج أوروبا من القرون الوسطى إلا بالفكر الإسلامى والحضارة الإسلامية .

والسؤال هو لماذا يقبل الغربيون على الإسلام ؟

ذلك موضوع كتاب ظهر فى فرنسا عنوانه (من دين لآخر - اعتناق الاسلام فى الغرب) يقول ليزبات روثى . فاطمة الشرقاوى :

ما برح الاسلام يلاقى صدى طيباً فى نفوس الغربيين فيدخلون فيه طواعيه بعد ما أفلست كل النظريات فى إسقاطه ولم تعد أديانهم قادرة على إطفاء ظمأهم الروحى .

ففى فرنسا (٣٠٠ ألف فرنسى) اعتنقوا الاسلام ، إضافة إلى

مليونى مسلم من أصل مغربى ، وقد أصبح الاسلام ثانى الأديان فى فرنسا بعد الكاثوليكية وقبل البروتستانية ، أما أمريكا فيوجد ثلاثة ملايين مسلم ، وقد أصبحت هذه الأعداد مثيرة لمخاوف الكنيسة . وتقول جريدة الصليب الفرنسى الكاثوليكية : إن الدين الاسلامى هو الدين الوحيد بين الأديان الذى ما زال يسجل مقدماً على مدى الساحة العالمية كلها .

ولعل أخطر ما وجه أنظار المثقفين الاوروبيين إلى الاسلام هى قصة (العلاقة بين الانسان وربه) فهى فى الاسلام علاقة مباشرة لم تكن معلنة فى الديانة السابقة حيث لأن لا بد أن يمر بوسطاء هم القساوسه) وثانياً ما يقدمه الاسلام من نظام متكامل للكون والحياة

(ثالثاً) موافقة الإسلام للعقل والمنطق ، وحين يجد الأوروبيون أن كثيراً من الاكتشافات والاختراعات التى توصلوا إليها قد ذكرها القرآن من قبل .

(رابعاً) ما يقرره من قدرة الاسلام على حل مشاكل العالم المعاصر وقضايا الانسان المعاصر .

وقد أشار كثير من الباحثين إلى أن العقل الاوربي لا يرفض الإسلام إذا عرف حقيقته لأنه عقل حر إذا أتيحت له فرصة النظر دون أن تكرهه سموم الاستشراق على التعصب لفكره القديم. والتوحيد الإسلامى أقرب إلى النفس البشرية من التثليث المسيحى، ولا ريب أن هناك قوى تحول بين الغرب وبين فهم الإسلام : هى الكنيسة والصهيونية وتخوف الغرب من نهضة الإسلام.

وهناك على الأقل ثلاثة آلاف عنوان كتاب إسلامى فى العالم، من هذه الكتب كتاب الإنجيل) كما ورد فى القرآن، كتب بصورة جديدة متناسقة حول الأناجيل الأربعة التى أخذت منها فقرات حيوية.

ويرى البعض أن خطر الإسلام على أوربا أشد من خطر الحربين العالميين فقد أصبحت الكنيسة العالمية فى حيرة بعد أن بدأ الإسلام يزاحم النصرانية فى عقر دارها.

بل إن النصرانية بدأت تقبل مفاهيم الإسلام تحت عنوانات أخرى.

* * *

وفى روسيا تجد التيار الاسلامى يقلق السوفييت فى آسيا الوسطى حيث تشهد جمهورية أزوبكستان (التى وصل سكانها إلى ١٨ مليون نسمه) وهى كبرى الجمهوريات السوفييتية فى آسيا الوسطى تشهد حالة

سالونيك منذ هجرة اليهود من الأندلس ، تخطيطاً لتحقيق هذا الهدف وقد كان ٥٠ ألفاً من الدونمه (اليهود الذين يدعون الإسلام) فى هذه المنطقة ، وقد استطاعوا أن يدخلوا زعماء (الاتحاد والترقى) فى محافلهم وإخضاعهم لهدفهم .

« خامساً » : لم يكن الهدف هو تمكين الصهيونية العالمية من السيطرة على فلسطين فحسب ولكن الهدف الأكبر هو إسقاط الخلافة الإسلامية .

وهو ما حققه كمال أتاتورك فى المرحلة الثانية ؟



رقم الإيداع / ٤٥١٦ / ١٩٨٩

(مطبعة دار البيان — ١٠ حارة الكفاروة - عابدين)

تليفون / ٣٩١٢٣١٠